الملك المظفر بالله الناصر لدين الله

من يقرأ هذا العنوان يظن لاول وهلة ان صاحبهُ ملك عظيم من ملوك المسلمين ولا يخال لهُ انهُ من امراء اليهود. لكنهُ كذلك فانهُ باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري ابن مناد الصنهاجي صاحب غرناطة بالاندلس وقد ذكرهُ جماعة من كبار الكتَّاب بين مادح وقادح ومبجل ومحتقر حسب اهوائهم وبعدهم عن التسامح وقربهم من التسلُّط. قال الوزير لسان الدين ابن الخطيب في كتابهِ الاحاطة عن اخبار غرناطة

كان باديس رئيساً بيساً طاغية جباراً شجاعاً داهية حازماً جلداً سديد الشر سديد الرأي بعيد الهمة مأثور الاقدام شره السيف واري زند الشر جمَّاعاً للمال ضخمت بهِ الدولة ونبهت الالقاب وامنت بحمايتهِ الرعايا وطمَّ تحت جناح سيفهِ العمران واتسع بطاعتهِ المرهبة الجوانب بياسهِ النظرُ وانفسح الملك وكان ميمون الطائر مضخم الظفر مصنوعاً لهُ في الاعداء يمتنع اتيالهُ بسلمهِ ولا يطمع اعداؤهُ في حربهِ. قال ابن عساكر يكنى ابا مسعود وكان من اهل الحزم وحماية الجانب وكان يخطب ويدعو للعلويين بمالقة الى ان توفي ادريس بن حمود ملك مالقة سنة ثمان واربعين واربعمائة

وقال الفتح بن خاقان في قلائدهِ كان باديس بن حبوس ملك غرناطة عائثاً في فريقهِ عادلاً عن سنن العدل وطريقهِ. يجترئُ على الله غير مراقب. ويجري الى ما شاء غير ملتفت للعواقب. قد حجب سنانهُ لسانهُ. وسبقت إساءتهُ احسانهُ. تاهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم. ولا شرب الماء الاَّ من قليب دم. احزم من كاو ومكر. واجرم من راح وابتكر. وما زال منقداً في مناحيهِ. منتقداً لنواحيهِ. لا يرام بريث ولا عجل. ولا يبيت لهُ جار الاَّ على وجل

وقال ابن حيان وكان هذا اللعين في ذاتهِ (اي باديس المظفر بالله الناصر لدين الله) على ما زوى الله عنهُ من هدايتهِ من اكمل الرجال عملاً وحملاً وفهماً وذكاء واماتةً وزكانةً ودهاء وفكراً وملكاً لنفسهِ وبسطاً لخلقهِ ومعرفة بزمانهِ ومداراة لعدوهِ واستسلالاً لحقودهم بحلمهِ من رجل كتب بالقلمين واعتنى بالعلمين وثقف باللسان العربي ونظر فيهِ وقرأ كتبهُ وطالع اصولهُ فاطلقت يدهُ ولسانهُ وصار يكتب عنهُ وعن صاحبهِ بالعربي في ما احتاج اليهِ من فصول

الحمد لله تعالى والصلاة على رسولهِ محمد صلَّى الله عليهِ وسلَّم والتزكية لدين الاسلام وذكر

فضائله ... الى ان قال ... وكان له مشاركة في الهندسة والمنطق ويعرف في الجدل كل مسؤول عنه على غاية - قليل الكلام مع ذكائه مائلاً للاسهاب دائم التفكر جماعاً للكتب . هلك في العشر الثاني لمحرم سنة تسع وخمسين واربعمائة فحمل اليهود نعشه ونكسوا له اعناقهم خاضعين وتقادموه جازعين وبكوه معلنين

ونقل لسان الدين بن الخطيب عن ابن الصيرفي قال حدثني ابو الفضل جعفر الفقي وكان له (اي لباديس) صديق وفي نفسه عزة وشهامة وكرم . وقال ابو القاسم بن خلف توفي باديس ليلة الاحد الموفي عشرين من شوال سنة ٤٦٥ ودفن بمسجد القصر - قلت وقد ذهب اثر المسجد وبقي القبر يحف به حائط له باب وحول القبر رخام الى جانب قبر الامير المجاهد ابي زكريا يحيى بن غانية المدفون في دولة الموحدين . وقد ادل اعتقاد الخليقة في باديس بعد وفاته وقدم العهد بتصرف اخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه لما جبلهم عليه من الانقياد للاوهام والانصياع للاضاليل فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والشفاء من الاسقام حتى اولو الدواب الوجيعة ما ليس على قبر معروف الكرخي وابي يزيد البسطامي ... وداره اليوم طلول تغيرت اشكالها وقسم التملك جنباتها ومع ذلك فمعاهدها اليه منسوبة واخباره متداولة

ونشأ لباديس ولد اسمه بلكين وكان عاقلاً نبيلاً فرشحه للامر من بعده وسماه سيف الدولة - ولي مالقة في حياة ابيه وكان نبيلاً جليلاً لكن وزير ابيه ابن نغزلة اليهودي دس له السم لانه كان له خاصة من المسلمين يخدمونه وكان مبغضاً من اليهود وادعى الوزير ان اصحابه وبعض جواريه سموه فقتل باديس الجواري

ومن هؤلاء الامراء اولاد زيري باديس الآخر وهو ابو مناد بن المنصور بن بلكين بن زيري قال ابن خلكان انه كان يتولى مملكة افريقية نيابة عن الحاكم العبيدي ولقبه الحاكم نصير الدولة وكان ملكاً كبيراً حازم الرأي شديد البأس اذا هز رمحاً كسره . وتوفي في ذي القعدة سنة ٤٠٦ وجده بلكين بن زيري استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على افريقية عند توجهه الى الديار المصرية سنة ٣٦١ واس الناس بالسمع والطاعة له وسلم اليه البلاد وخرجت العمال وجباة الاموال باسمه . فتشرف في الولاية ولم يزل حسن السيرة تام النظر في مصالح دولته ورعيته الى ان توفي سنة ٣٧٣

ولما توفي باديس هذا خلفه ابنه المعز ولقبه الحاكم صاحب مصر شرف الدولة سنة ٤٠٢ وكان ملكاً جليلاً عالي الهمة محباً لاهل العلم كثير العطاء ومدحه الشعراء وانجمه

الادباء وحمل اهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك وقطع الخطبة للعبيديين فلم يخطب بعد ذلك لاحد من المصريين وتوفي سنة ٤٥٤ بالقيروان

والظاهران الذين بقوا في افريقية من نسل زيري اعتنقوا الاسلام ولو ظاهراً واما الذين قطعوا الى الاندلس فبقواعلى اليهودية وكان اهل العصر يعظمون الفريقين ويجلونهم على حدٍّ سوى كأن لا شأن للدين في مقام الانسان الاجتماعي

المعلقات

وعدنا في الجزء الماضي ان نأتي على مقالة الاستاذ نولدكي التي نشرت في دائرة المعارف البريطانية وان نضيف اليها بعض ما لمّ به الفائدة فجعلنا مقالة الاستاذ متناً والاضافات حواشي كما ترى

المعلقات لقب لسبع قصائد طويلة وصلتنا من عصر الجاهلية ويقال انها سميت كذلك لان العرب علقوها في الكعبة واول من ذكر هذا على ما يعلمهُ المؤلف ابن عبد ربهِ (المتوفى سنة ٩٤٠ مسيحية) في كتابهِ العقد الفريد فقد جاء فيهِ ما نصهُ

« الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها والمقيد لايامها والشاهد على حكامها حتى لقد بلغ من كلف العرب بهِ وتفضيلها لهُ ان عمدت الى سبع قصائد متخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في استار الكعبة فمنهُ يقال مذهبة امرء القيس ومذهبة زهير . والمذهبات سبع يقال لها المعلقات »

وكرر هذا القول كثيرون من الكتّاب الذين جاؤوا بعد ابن عبد ربهِ . ولكن النحاس النحوي الذي توفي سنة ٩٤٩ م وكان معاصراً لابن عبد ربهِ قال في شرحهِ للمعلقات « اما قول من قال انها علقت في الكعبة فلا يعرفهُ واحد من الرواة »

ولقد اصاب النحاس في نقضهِ رواية لا دليل على صحتها فان مناهج العرب قبل الاسلام معروفة واخبار مكة في عهد النبي معروفة ايضاً ولكن ليس فيها اقل اشارة الى تعليق المعلقات في الكعبة فقد كان اهل مكة يعلقون غنائمهم فيها كما في سيرة بن هشام ولكن لم يذكر انهم كانوا يعلقون القصائد

ونقل دي ساسي في مختاراتهِ ان النبي انزل المعلقات واخرجها من الكعبة حين فتح مكة . ولكن لو كان ذلك صحيحاً لورد ذكرهُ او الاشارة اليهِ في كتب السير او في تواريخ مكة

و يبعد عن الظن ان تكون تلك القصائد قد كتبت في ذلك العصر فان الاشعار لم